الخواطف

المستقاة من محاضرة الاسلام وسنن الجماعات

لمعالي احمد محمد خشبة باشا

وزير خارجية مصر

بقلم

ايوب صبري الخياط

مدرس الأدب العربي فى اعدادية الموصل

« مصدرة بكلمة »

للاستاذ ابراهيم الواعظ

رئيس محكمة استئناف الموصل

- طبعت في مطبعة الاتحاد -

- الموصل -

١٣٦٨ : ١٩٤٨

الإهداء

الى اولئك الذين لا يعلمون عن الاسلام ومثله العليا شيئاً .

والى اولئك الذين فقدوا حقيقتهم وضلوا باحثين عن الأصل المفقود ، فهذا هو الأصل .

اما اولئك الذين فقدوا حقيقتهم، وفقدوا معها البحث عنها فاولئك هم كالانعام بل هم أضل .

ـ المعلق ـ



صاحب المعالي احمد محمد خشبة باشا
وزير الخارجية المصرية



المعلق

الاستاذ ايوب صبري الخياط

مدرس الادب العربي في اعدادية الموصل



المصدر

ابراهيم الواعظ

رئيس محكمة استيناف الموصل

التقديم

لقد كنت ولم أزل من المعجبين بالمثقفين من اخواننا المصريين ، وكنت كلما قرأت لأحد منهم نتاجا علميا ، تعاظم ذلك الاعجاب حتى كاد ان يكون عشقا لهذه العبقريات ، وهذا مما حدا بالسيد النجيب عبد القادر الكيلاني ان يطري لي الاستاذ الكبير معالي « احمد محمد خشبة باشا » وزير خارجية مصر الحالي بحق ، ويكبر فيه الاعتقاد والايمان ، ويتفضل علي برسالة صغيرة هي محاضرة فى « الاسلام وسنن الجماعات » كان ألقاها المشار اليه عند افتتاح جمعية « جماعة احياء مجد الاسلام » بالقاهرة التى هو رئيسها . وطلب الي قراءتها ومقابلة المشار اليه عند اول فرصة تتيح لي ، فقرأتها قراءة امعان وتدقيق.

وقد اسعدتني الاقدار السماوية بمقابلته عند زيارتي مصر فى ايلول سنة ١٩٤٧ ، فكونت تلك القراءة وهذه الزيارة في تعظيما واجلالا منقطعي النظير بهذه الشخصية المحترمة النادرة ، وفقه الله .

ان اكباري واعجابي لم يكن ينحصر فى اخواننا المصريين فحسب ، بل ان فى العراق من يستحق هذا الاكبار والاعجاب . فقد حصلت لي عند اشغالي رياسة محاكم الموصل شرف التعرف ببعض الشخصيات المحترمة ، وكان ولا شك ان يكون نتيجة هذه المعرفة الاتصالات المادية والروحية .

وكان من جملة من اتصلت بهم ، الاستاذ السيد ايوب صبري مدرس الأدب العربي فى اعدادية الموصل ، فكانت صلتي به بشكل لا تنطبق عليه الاعتبارات التي تربط الصديق بالصديق ، والخل بالخليل ، انما كانت اسمى وارفع من تلك الاعتبارات المتعارفة بين

الناس . لقد جمعتني واياه جامعة روحية تختلف كثيراً عن العوامل التي تجمع بين صديقين اثنين . وهذه الصلة هى التى جعلتني ان اقدم محاضرة خشبة باشا الى الاستاذ المشار اليه ليقرأها و يعلق عليها .

وها هو قد قرأ وعلق ، واني قد قرأت المحاضرة مرة اخرى وأعقبتها بالتعليق وها اني الآن قد انتهيت من قراءة المحاضرة والتعليق عليها ، فبقيت برهة من الزمن واجما كالمغمور بشتى الاحساسات ينصت الى نغماتها اللذيذة ويستمتع بجمالها منتظراً ان يخف بحرانها ليرجع الى نفسه ويستشير عقله ليقول كلمته فيها وفي التعليـق عليها . ولو أتيح للانسان ان يجسد تلك الاحساسات ويظهرها على حقيقتها لكان ذلك خير تصوير صادق لما يحسه ويتذوقه ويدركه . أما محاولته تصوير احساسات رفيعـة فى تساميها ، مرهفة فى دقتها بالفاظ وضعت لقضاء حاجات مادية مبتذلة فذلك ضرب من ضروب العبث الذي لا يجدي نفعا ولا يعود بفائدة .

ومن اعجب ما في الكاتب انه ان حاول تصوير احساساته وتثبيتها على الورق وهو متسنم اثباج هذا البحر الخضم من هذه الاحساسات لذ له طرح العقل جانبا وراح هو وعقله وجميع ملكاته منطلقا معها ، مرتطما فيها لانه يرى ان الانتشاء هو ارقى درجات البلاغة البالغة حد الاعجاز وان انتظر ان ينقطع عنه مدد ذلك السيل لينبسط عقله من عقاله فلا يجد ما يريد ان يصوره وانما يرى بعض ما تركته من آثار ، فيبذل قصاراه ليثبت شيئا غير موجود، ويصور شيئا ذهبت حقيقته وهكذا شأن الكتاب فى شؤونهم الروحية .

وقصاراي ان أصور ما تركته المحاضرة والتعليق عليها من أثر فأقول :

ليس هناك من يشك أن السيد احمد خشبة من العبقريين الافذاذ الذين لا يجود الدهر بامثاله إلا مضطراً ، وفى غفلة من غفلاته ، لأن العبقري يشعر ان واجبه حل عقد الحياة

وفض مشاكلها . والدهر يلتذ بتعقيد الحياة والاكثار من مشاكلها . ومن الطبيعي ان نجد أن الدهر السلبي لا يروق له ان يرى دهراً ايجابيا قد تفوق ايجابياته سلبياته ، فلا ينفرد بالأسرة والتحكم .

ومن مميزات العبقريين ،الاستقصاء والاحاطة تحقيقا لحاسة العبقرية فيهم ، فهم يتسامون في فنونهم الى الأوج ، فلا يزالون به حتى يكتنهوا اسرارها ويطلعوا على مكامن الروعة والعبرة . فالعبقري ، هو ذلك الرجل الفذ الذي انفتحت امامه كل ما ارتتج من مغاليق الجمال والجلال . وان ما يدركه العبقري فى بارقة من الزمن يعجز عن فهمه غيره فى سنوات فى قرون . لذلك ، عندما اتجه معالي الاستاذ احمد خشبة باشا الي حقيقة الدين الاسلامي ، بلغ مدى نظره الى اغراض التشريع والى حكمة التشريع توصلا الى ارادة الله فى دين الله . فوجد بعد البحث والاستقصاء ان حقيقة الدين الاسلامي قائمة على اربعة دعائم : العقيدة ، والايمان ، الاستكثار من العدد ، العدل ، المساواة . وبذلك وصف الدواء الناجع لكل من ابتعد عن حقيقته وصحته ودعا الاسلام جميعا الى الاسلام وأراهم حقيقتهم المضاعة على حقيقتها .

على انى ممن يقدرون جهود الاستاذ « ايوب » لأنه حاول ان يتفهم كل ما أراده المحاضر كما حاول المحاضر أن يتفهم كل ما أراده الله .

ومما هو جدير بالذكر أن المحاضرة لايجازها البليغ ، تصلح لطبقة المثقفين بالثقافة الاسلامية فقط دون غيرهم ، وفى التعليق عليها أصبحت صالحة الى غيرهم من الطبقات ، لانها اصبحت مع التعليق عليها كمتن مقرون بشرحه ، لأن المحاضر ـ كما سبق وقلت ـ عبقري ، ومن خصائص العبقري ايضاً انه ليس فى امكانه أن ينسى ولو لحظة واحدة عبقريته . فان كتب او حاضر ، فهو يكتب ويحاضر للعبقريين فقط ، ولذلك جاءت

محاضرته ذات الموضوع الواسع بهذا الايجاز البليغ .

وقد حاولت بمقدمتي هذه أن أتفهم ما أراده الله والمحاضر والمعلق .. ولكن هيهات الاحاطة بذلك فآثرت تقديم التعليق الذي يشمل الشيء الكثير من اصل المحاضرة للقراء.. وللقراء أن يقولوا .. وللقراء ان يحكموا .

والله من وراء القصد . ابراهيم الواعظ

الموصل : ٤ صفر الخير ١٣٦٨
٦ كانون الاول ١٩٤٨

بسم الله

« هي محاولة تحوم حول المحاضرة القيمة التي ألقاها العلامة معالى السيد احمد محمد خشبة باشا وزير خارجية مصر (الاسلام وسنن الجماعات) فعسى ان يكتب لها التوفيق وما التوفيق الا من عند الله »
— المعلق —

لقد قرأت المحاضرة التى القاها العلامة السيد احمد محمد خشبة باشا المعنونة (الاسلام وسنن الجماعات) وحاولت جهدي ان أساير المحاضر لأحيط علماً بالمقاصد التى يرمي اليها والمدلولات التى يريد ان يقرها ويثبتها عن طريق تصويرها بالفاظه وعباراته وسأحاول جهدي ان أشرحها مستوحيا من روح الاستاذ الكريم السيد ابراهيم الواعظ وعلمه الغزير ، مددا كلما نفدت القوة ، وارتج علي الكلام ، لأنه وفقه الله وكلأه ، يشجع كل قابلية وملكة يراها كامنة ، فلا يزال بها حتى يخرجها من عالم الصمت المهيب الى حيث الانتاج المفيد للبشرية في عاجلها وآجلها .

لقد وجدت المحاضر الكريم ، ممن لم يكفهم الوقوف من التشريع الاسلامي عند حدود الألفاظ والاحكام بل يحاول دوما لأن يغوص فيتغلغل فى أعماق أغراضه العليا ليظفر
١ بروح التشريع الاسلامي ، لا بنصوصه والفاظه التي يستطيع كل احد كائنا ما كان ، ان يطلع عليها وليدرك ويتذوق معا السر الخفى الفعال الذي جعل الأمة الاسلامية سيدة العالم بتلك السرعة المتجاوزة اقصى السرعة التي اختطها التاريخ للامم ، فوقف منها فى نهضتها الخاطفة موقف الذاهل المندهش المتراجع ، امام قوة هائلة خرجت على مقاييسه وفهمه معا ، فعدها اعجازا وخرقا للقواعد العامة التاريخية ، وانها فوق التعليلات

التي عرفها ، فلم يجد بدآ من ان يسجل ما أملته عليه وان يتجه وفق المجرى الذى أرادته فكان ما كان من حدودها في تلك الفترة القصيرة من جنوبي فرانسا فى الغرب الى الهند والصين فى الشرق ، فتهافت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، يتسابقون الى تعلم اللغة العربية لفهم الدين وللزلفى من الحاكم المتغلب .

وقد استخرج العلامة محاضرنا بعد غوصه هذا ، وتغلغله ذاك بالحقيقة العليا وهى : (ان الدين الاسلامي عقيدة وايمان) . تلك الحقيقة التى عطلها أهلوها فلم يبق من التشريع الاسلامي القائم على سمو هذه الحقيقة إلا الفاظ يتماحك بها المتماحكون .

فانظر الى ما يقوله فى محاضرته :

« ما الدين الاسلامى إلا عقيدة وايمان بوحدانية الخالق الأحد الديان وطائفة من فرائض آمره بالخير والبر ، داعية للحق والعدل والاحسان ، ونواه زاجره عن المنكر والبغي والعدوان الى آخر ما قال .. »

ولقد أصاب المحاضر شاكلة الصواب بقوله ان الدين الاسلامى قائم على دعامتين ، عقيدة ، وفرائض آمرة بالخير ، ونواه زاجرة عن المنكر ، فاما العقيدة فليست كما يعرفها اللفظيون ويفهمها الشكليون الذين يقولون « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وكل ما عرفوه من مدلولها أنهم يقولونها بلسانهم وبذلك ينالون جواز الدخول الى الجنة وعلى حد قولهم ، اننا اذا روضنا ببغاء على قولها دخلت الجنة ايضا ، واما المحاضر وفقه الله فقد تسامى فهمه عن هـذا المعنى المزري فرآها على غير ما رآها اللفظيون والشكليون ، فانه يرى ان من قال «لا آله إلا الله » لا يخون ولا (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) .

وان من يقول لا آله إلا الله ، لا يكون جبانا (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين

كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فيئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) .

والذي يقول لا آله إلا الله لا يكون غداراً (ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين) .

والذي يقول لا إله إلا الله لا يغش (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) وقوله (ص) : « من غش فليس منا » .

والذي يقول لا إله إلا الله لا يتجسس « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » .

والذي يقول لا إله إلا الله لا يسخر من الناس « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن » .

والذي يقول لا إله إلا الله ان يكون محسنا « واحسنوا ان الله يحب المحسنين » .

وقد فصل الحديث الشريف مجمل الاحسان الوارد فى القرآن الكريم بقوله (ص) حينما سئل ما الاحسان؟ فقال : الاحسان، ان تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك.

والذي يقول لا إله إلا الله ان يعمل صالحا « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما » .

والذي يقول لا إله إلا الله ان يكون امينا « فان أمن بعضكم بعضا فليؤدي الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه » . (ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها) .

والذي يقول لا إله إلا الله ان يقبل من الناس ما هم ميسرون له وان لا يكلفهم اكثر من وسعهم « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

والذى يقول لا إله إلا الله ان يكون متواضعا غير مختال ولا فخور « ولا تصعر خدك للناس

ولا تمشي في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور » .

والذي يقول لا إله إلا الله انلا يكون ظالما « قل للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون » .

والذي يقول لا إله إلا الله ان يصلح بين الناس « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

فكلمة لا إله إلا الله جمعت تحت لواء معناها القسامي كل فضيلة ومنعت كل رذيلة فحقا ان من قال لا إله إلا الله دخل الجنة . لقد قالها الاسلام الأولون ، فدخلوا فى صميم الدنيا والجنة وقلناها فخرجنا من الدنيا والجنة وهل كلا القولين قول؟ قول مسعد وقول مشق . ولست أشك بان المحاضر أراد ان يقول (ما الدين الاسلامى إلا عقيدة وايمان بوحدانية الخالق الاحد الديان) لأن العقيدة التامة بوحدانية الله شاملة لكل الفضائل ، نفارة عن كل الرذائل ، كافلة لسعادة الفرد والجماعات . وعلى قدر العقيدة ورسوخها يكون الكمال البشري . وقد جاء عطفه على هذا التعريف الجامع (وطائفة من فرائض آمرة ونواه زاجرة عن المنكر) كما تلتحق القيود بالجمل والايضاحات للتعاريف والصفات للموصوف الواحد توسعا وتوضيحا لأن الفرائض والنواهي كما يعلم المحاضر الكريم، إن هى إلا وسائل مروضة للبشر ليتقرب من الكمال ويبتعد عن الاسفاف الحيواني.

ودليلي ان المحاضر العلامة ، كلأه الله بعنايته ، يرى ان الدين الاسلامى دين عقيدة وايمان بالله عز وجل قوله (وأعان الدين ذلك بصنوف من مدركات وعبادات لكي ييسر للناس حمل ماكلفوا به من فرائض ويسهل عليهم نبذ ما نهوا عنه من سيئات وحرمات) . وفي هذا صراحة محضة بانه يرى ان الفروض والنواهي سبيلان لابد منهما

لترويض البشر وتخريجه فى العقيدة والايمان بوحدانية الخالـق ، إلا انه ذكر الفروض والنواهي وألحقها فى اصل التعريف الذي مؤداه ان الدين الاسلامى ، دين عقيدة وايمان بوحدانية الله عز وجل من باب ذكر الأصل والوسائل المؤدية الى هـذا الأصل ليكون التعريف بمعناه العام الشامل كل اطواره ، مبتدئا من منبثقه الأعلى ومصدره المتسامى ، ومنتهيا بالوسائل والسبل المفضية ليوفق بين مستلزمات الحياة اليومية وشرائع المثل الأعلى . وكان فى تعريفه الجامع المانع موفقا كل التوفيق لانه استطاع ان يذكر جميـع العناصر المشتركة فى تكوين حقيقة الدين الاسلامى وتفهم سر عظمته . وكل من توغل بتعريف المحاضر أدرك ان تعريفه هذا حقيقة حيه ، تربط الانسان الدنيوي بالانسان الروحي . فالانسان الروحي يتمثل بالعقيدة والايمان بوحدانية الخالق، والانسان الدنيوي يرى بممارسته الفرائض واجتنابه النواهي ثم يتخلص. اخيراً ان الدين الاسلامى دين روح ودنيا ، فهو فكرة هبطت من الملأ الأعلى الى الافكار البشرية لتتسامى واحتكت بها العقول فصقلت وزال صدؤها ومازجتها الطبائع فلانت جوانبهـا ورقت حواشيها ، واذا جئنا نستنطق التعريف ثانية بعد الاستئذان من صاحبه الكريم ليذكر لنا غرضه الأعلى الأوحد ، لما تردد عن ان يقول فى رأيي وعقيدتي ، ان غرضه ان يصل بالبشر الى كمال الشخصية العاقلة المدركة المتنبهة الى الله العاملة في حقل الله دون غفلة او ذهول او نسيان ، لان الغفلة والذهول والنسيان تعد فى شريعتـه الشخصية المستهدفـة للكمال ، كفر وارتداد وفي ذلك يقول ابن الفارض رحمه الله :

ولو خطرت لي فى سواك ارادة   على خاطري سهواً حكمت بردتي

وقد أصاب بهذا التعريف لان الدين الاسلامى في الحقيقة ، نزاهة روحية وفكرية ومعنوية ولفظية وعملية معاً . وانه يرى وحقاً ما يرى ان التشريع السماوي يستهدي

البشر ليستطيع به ان يحافظ على كيانه الفردي والاجماعي ليتذوق البشر به هناءةورشدا. لذلك قال في محاضرته (لم يشرع الله للناس دينهم تحقيقا لفائدة يرجوها لنفسه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ولكنه شرع ما شرع أخذاً للناس بما هم في أمس الحاجة للعمل به اذا هم ارادوا حقاً لأنفسهم حياة ولجماعتهم بقاء وللبشرية باسرها هناءة ورشدا) لذلك كانت حياة العرب السياسية قبل ان يتذوقوا التشريع السماوي وقبل ان يأتي الرسول الأعظم بالناموس الاكبر حياة مستعمر ذليل ، انظر الى ما يقوله : (لقد طلع هذا الدين الكريم على بلاد العرب وكانت بلادهم منهبة للطامعين الغالبين من فرس وروماں واحباش تسابقوا على اخضاع ما صلح من ارضها ، اما ما سلم من الغارة منها فقد كان فى جملته متسعا غير ذي زرع من صحراء ورمال حفظه جدبه وشدة العيش فيه من اطماعهم ، فعاش العرب عشائر وقبائل عاش بعضها بمعزل عن بعض ولم تتجاوز في سيرها التدريجي الحلقة الدنيا من مراحل نمو الجماعات ، فأغرى هذا التفكك العداوة والبغضاء بينها وساقها الى حروب تعددت ايامها وتتابعت وقائعها حتى كادت تذهب بصاليها وموقدها لو لم يجد هذا وذاك من الاسلام مصرفا عن بواعثها ، ومن نعمة التوحيد منقذاً ومجيراً) . ثم عاد فقال : (في تلك الظلمة الحالكة ، بزغ الاسلام فى جزيرة العرب ، فدعا أهلها بل دعا من في الارض جميعا الى عبادة الله الأوحد الديان وان يذروا مايدعون من دونه من آلهة وأوثان وجعل السبيل الى هدايته النظر في الاكوان وما أودع الله فيها جميعا من سنن توحدت مناهجها فدلت بذلك على انها من صنع واحد مبدع وحكيم).

ان المحاضر الكريم جزاه الله عن الحقيقة الاسلامية كل خير ، لم يرد بقوله ان الاسلام بزغت شمسه فى تلك الظلمة الحالكة إلا ليلفت الانظار ويدعو اصحاب التأمل والاعتبار ان الله لم يشرع دينا إلا لحاجة البشر الماسة اليه ، ،اذا نظرنا إلى تاريخ الأديان ، لما

وجدنا تشريعا إلا وقد سبقته فترة مظلمة حالكة فقد البشر معها كل نظام واتزان على نفسه ، وهذه الحقيقة التاريخية تؤيد نصا وروحا ما ذهب اليه العلامة الحاضر من ان الله لم يشرع دينا إلا لحاجة البشر الماسة اليه ، وأما قوله ان الله دعا من في الارض جميعاً الى عبادة الله لان السبيل الأوحد لانقاذ البشرية من ظلماتها المتكاثفة الى نور الحقيقة هو التوحيد لانه مصدر كل حقيقة ومنبع كل نور ، ورأس كل فضيلة وحكمة .

ولقد أصاب الحاضر شاكلة الصواب بقوله (وجعل السبيل الى هدايته النظر فى الاكوان) يريد بذلك ان التشريع الاسلامي ، تشريع أراده العقل السليم وأيده النظر الصحيح ، فهو إذن حاجة ماسة ضرورية تناصر على وجودها العقل والقلب والنظر ، وكأني به يريد ان يقول ان التشريع الاسلامي منبثق من حقيقة الحياة الاجتماعية التى يريدها الله مع احتفاظه بمقومات الحياة الفردية ، ولا غرو فكل تشريع متصل بالحياة ومشتق منها كان نصيبه الدوام والاستمرار وإلا كان مصيره كالزبد الذاهب جفاء .

كما ان قوله : ان الله جعل السبيل الى الوحدانية النظر فى الاكوان دليل آخر الى ما سبق من قوله ان التشريعات السماوية جاءت لحفظ كيان البشر الاجتماعي وتثبيته على وجه الارض ، لان السعادة ان يعيش البشر بظل نظم تقتضيها عقوله وتتطلبها حياته وإلا كانت نوعا من العبث والخيالات الباطلة . وقد أيد قوله بادلة عملية مشتقة من حياة العرب النفسية والاجتماعية والسياسية بعد الاسلام ، فاستمع اليه بتأمل وانصات الى ما يقوله (فما ان تمكنت هذه العقيدة فى عقول المؤمنين حتى نفذت الى قلوبهم فلأتهم بما فهموا عزة وقوة وآتتهم حكمة وعلما ، ووهبتهم خير النظم كفالة للحق وضمانة للحرية والكرامة ووحدت عقائدهم والفت بين قلوبهم ، وربطتهم بحبل من تراحم وتضامن وأحلتهم فى سمو الخلق والعزة والسلطان مكانا عليا) . فانظر رعاك الله كيف خلق الله

العربي مرتين ، مرة قبل الاسلام وأخرى بعد الاسلام ، فالعربي قبله وبعده هو نفس العربي ولكنه قبل الاسلام لا يشعر الا بنفسه وقبيلته ، وقواه النفسية كلها موجهة توجيه محض الى تثبيت هذه النفس وتلك القبيلة على أساس محو غيره وقبيلة غيره ، لذلك كانت مجهوداته كلها سلبية .

وعندما بزغت شمس الاسلام توجهت الجهود من أقوى سلبيتها الى أقوى ايجابيتها ، فبينما كانت العلاقة بين القبائل علاقة عداء شغلتها الحروب والقتال ، وغمرت حياة كل القبائل والأفراد ، فالحجازيون يعادون اليمنيين أشد عداء والحروب قائمة على قدم وساق بين تميم وبكر وغطفان وهوازن والمناذرة والغساسنة، واذا بالرسول الاعظم يقول فيقول معه آلاف البشر من العرب (المؤمنون اخوه) (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) (يد الله مع الجماعة) (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

ولم يكتف بالمساواة بل ارتفع بهم الى ما هو أعلى من ذلك، فقد دعاهم الى الايثار، وقد جاء فى الذكر الحكيم : « يؤثرون على انفسهم ولو كانت بهم خصاصه » . « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . « يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » وكان من نتيجة ذلك ان خضعوا لامام واحد يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه فوجهتهم لاعلاء كلمة الله ، ففتحوا البلاد المستغلقة فتكون بذلك وحدة سياسية اسلامية فى الدين واللغة ونظام الحكم والآداب والعلوم ، وحسبهم انهم كونوا منهم ومن الامم التي افتتحوها وحدة اسلامية ملكت من حدود الهند والصين الى جبال البرانس فى اسبانيا . وقد أظهر لنا الحاضر بما قال،أثر الاسلام النفسي بقوله : ان العقيدة الاسلامية ملأتهم عزة وقوة وامتدت الى

عقولهم فآتتهم حكمة وعلما ، ووهبتهم نظاما كفاه فخراً وعلواً ان لا سلطان فيه إلا للحق وضمن لهم حرية وكرامة وحل فى مجتمعهم ، فألف بين قلوبهم وجعل الرابطة تراحم وتضامن ، ثم تغلغل الى علاقاتهم الخارجية فخلق منهم اسياداً للعالم . وصفوة القول ان العربي الذي كان قبل الاسلام لا يفهم إلا (أنا) و (قبيلتي) فاصبح لا يفهم (انانيته) و (قبيلته) إلا عن طريق الحق والفضيلة . فحيث الحق والفضيلة والدين الاسلامي صور الباطل على حقيقته ، فاستقبحه اشد الاستقباح وجاء من ورائه المسلم فاستقبحه كاستقباحه فلم يعد يشعر المسلم فردا وجماعة بنفسه او بقومه اذا كان هناك باطل فانظر الى قوله (ص) يخاطب الانصار (انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع) فالقلة هنا استعيرت عن الانعدام، والكثرة عن الشعور الكامل بالوجود الكامل أي تفقدون وجودكم وأنانيتكم فى الباطل ، وحطام الدنيا وتشعرون بها على اقوى ما تكون في الحق وعند الامور العامة وهذا ما يريد ان يقوله المحاضر الكريم فقاله مجملا بايجازه البليغ وجئت به اليكم تفصيلا على انني أعتذر من معاليه ان وجد فهمي متقاصرا عن ان يدرك دقائق مقصده فى ايجازه الممتنع وفوق كل ذي علم عليم.

ثم انتقل المحاضر الى إثر العقيدة الاسلامية فى حياة العرب السياسية فقال (فامتد سلطانهم ومكن الله لهم في الارض ما لم يمكن لغيرهم وكانوا أينما حلوا مثل العدل والانصاف ومصابيح الهداية والدراية والعرفان أقاموا أينما استقر بهم مكانهم للعلم والحكمة صروحا وبيوتا ومساجد ومعاهد... الى ان يقول فقد سرى منهم الى بلاد الغرب قاصيها ودانيها ذلك القبس الوهاج الذي أضاء ظلمة البلاد وكان مبدأ حركتها العلمية والاجتماعية) .

وبذلك يصور لنا المحاضر الكريم أثر العقيدة الى الحياة السياسية ، فكانوا سادة العالم ومصابيح الهداية ووجهوا البشر قاطبة الى النظر والتأمل فسرى منهم قبس وهاج أقام

الغربيون نهضتهم عليه واستضاؤوا بنوره . ولأن المحاضر وجه اهتمامه الى التشريع الاسلامي الأغر من جهة كفالته لحفظ الكيان الاجتماعي والاحتفاظ بالقوة الحيوية التي تغذي قوة الجماعات من ان تضمحل وتفنى لذلك أحاول ان أسايره بهذا التوجيه وبذاك التوغل واذا عزمت فتوكل على الله .

فانظر الى ما يقول : (واذا كان التشابه وما ينشئه من محبة هما حفاظ الجماعة وقوامها فقد كان من الطبيعي لكل اجتماع اشتد التزاحم فيه وقوى عقل بنيه واستبان غواية عقائده ان ينفرط عقده بزوال ما كان يقوم عليه من معتقدات ومحبات لو لا ما يقيضه ويمده توزع العمل بين الناس مما يجدون فيه رباطا جديدا الى آخر ما يقول ..) انتقل المحاضر الى الروابط الاجتماعية وصنفها الى صنفين اساسيين ، أولهما روحي متغير حسب الأمكنة والأزمنة ، وثانيهما عملي دائم يتفق مع كل عقيدة ونزعة ألا وهو توزيع العمل. وقد اعتبر المحاضر قوة الربطة الاجتماعية وضعفها تتباين درجاتها حسب العدل الاجتماعي في توزيع العمل وتنظيمه حسب الكفاءات والقابليات . واليك ما يقول : (ذلك لأن فى توزيع العمل ما يثير فى كل نفس شعورا قويا بعجزها بما تنفرد هى بصنعه عن استيفاء كل ما يعوزها من حاجات بقائها كما يثير فيها ادراكا صادقا لاحتياجها الى ان يقول وبما يتجه هذا التوزيع لكل واحد من الجماعة من العمل الذي يتفق مع ملكاته وقواه).

ان المحاضر يرى وما أحق ما يرى ، ان حسن توزيع العمل يكفل الرقي الاجتماعي للامم ويحفظ كيانها داخلا وخارجا ويكفل سعادة الفرد والجماعة ويقرب الأمم من الكمال المطلق وعلى قدر انحراف الأمم عن عدالة توزيع العمل يكون شقاؤها الذي يفضي بها الى الاضمحلال وسوء المصير . فانظر بتأمل الى ما يقول (فاذا ما انحرفت الجماعة عن هذه المحجة الواضحة فاهدرت قواعد العدل والانصاف او جعلت مما يزاول الناس من

الاعمال شريفا تحبسه على ذوي الحسب واليسار واعمالا دون ذلك تحبس على عامة الناس عليها الى ان يقول فلا عجب من بعده ان تفتر منهم العزائم ، وتجمد القرائح وتتحجر القلوب فيسوء صنعهم وينقص انتاجهم ويغيض ابتداعهم وتنقطع اسباب تراحمهم وتواصلهم واذن ينفرط عقدهم وتذهب ريحهم جزاء بما كانوا يظلمون) .

لقد رأى المحاضر الكريم إحاطة بالموضوع واستكمالا بالفائدة ان يستقصي القوى المغذية لكيان الجماعات ويصنفها تصنيفا عاما شاملا كل الاجناس والانواع . وبعد البحث العلمي الدقيق وجدها ترجع الى اربعة انواع (١) العقائد والمشاعر (٢) الحرص على استكثار العدد (٣ و ٤) العدل والمساواة .

ـ العقائد والمشاعر ـ

بعد البحث العلمي الدقيق وجد المحاضر ان الفرد والجماعات لا يمكن ان يعيش او تعيش مجردين عن عقيدة وإيمان . وكل من حاول ان يفصل مجتمعا ما عنها فكأنه حاول ان يلحقه الى نوع من انواع الجماد او الى نوع من انواع الحيوانات البهيمية التي لا نفس لها وحتى الحيوانات قد أعاضها الله عن ذلك بمجموعة من الغرائز تتقرب الى ما ينفعها وتبتعد عما يضرها . فخير الشرائع واكملها وأتمها ماشايعها العقل ولبتها الافئدة والمشاعر وسارعت اليها الفطر والغرائز كالعقيدة الاسلامية التي اتخذت اقناع العقول السليمة سبيلا اليها بتوجيه البصيرة والابصار الى ما أودع الله الخالق الكائنات من نواميس وقواعد توحدت طرائقها وانسجمت اساليبها وتضافرت قواها ، والغرض الاسمى من ايمان العقول في الجوهر الاوحد العام (الله) هو الاحتفاظ بالكيان الاجتماعي البشري ، وذلك ان الجماعات اذا اعتقدت بان ما هي عليه من حركة وسكون، حياة وممات ، وسمع وبصر ، وتفكير وتدبير ، ورزق وزرع ، وانعام وحرث ومتاع . انما يرجع كله فى وجوده وما

يترتب على الوجود من مظاهر الى الله وحده وان الناس في ذلك سواسية كاسنان المشط لا فرق بين مالك ومملوك، وسيد ومسود، وحسيب ووضيع ، إلا بقدر التباين والفروق في ايمان عقولهم بواجدهم . فان سادت هذه العقيدة وجهتهم حتما الى احترام العدل المستمد من القول الآلهي . ومتى كانت الهيئات المسؤولة عادلة عم الرضى وشملت الطمأنينة التي هي روح الجماعات ، جميع الافراد على اختلاف مداركهم وتباين مشاعرهم ، وعمل الكل لخير الكل .

ومن الحقائق التي لا يأتيها الباطل ، ان الرسل والانبياء والمصلحين وعظماء التاريخ والزعماء ، كلهم يرمون بشرائعهم وقوانينهم ونظمهم الى ان يجعلوا الخير العام قائداً للجماعات ورائدها لأن به تتكامل القوى وتبلغ الامم غايتها المرجوة وضالتها المنشودة . فالتفت الى ما يقول : « أطل الاسلام على الناس فدعاهم لأن يؤمنوا بالله الواحد الاحد خالقا ، وألا يشركوا في ربوبيته شيئا، وجعل سبيل هدايتهم اقناع عقولهم بصدق دعوته ، فوجه ابصارهم الى ما أودع الخالق في الكائنات الى ان يقول استرعى الكتاب الكريم الباب الناس الى الشمس وضيائها والقمر ونوره والارض وتعاقب الليل والنهار. وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها ، الى ان يقول : فجعل الله لهم مما أثار في نفوسهم من تلك المشاعر الشريفة نحوه رباطا جديدا ربط به على قلوبهم وقارب به مشاعرهم ، فازداد بذلك تجانسا ورحمة وحنانا . تلك هى العقيدة التى جمع الدين اتباعه عليها وهو لم يأخذهم فيها بخارقة او قهر ».

ـ الحرص على استكثار العدد ـ

لقد قرأت هذا الفصل المعنون « الحرص على استكثار العدد » فنقلنى هذا الفصل الى عالم لو توصلت اليه البشرية لكانت خيرا من الملائكة المقربين، على ان الملائكة المسبحين بحمده

لو أدركوا ان في بعض البشر قابلية الوصول الى هذه الاجواء لما انبروا بقولهم « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون » . وأعتقد ان المقاصد الربانية العليا شاءت ان تخلق في البشر قابلية الوصول الى ذاته المنزهة كما وقع للرسول الأعظم (ص) ، ولم تشأها الملائكة المسبحون. وهذا في عقيدتي واجتهادي مغزى قوله تعالى : « أعلم ما لا تعلمون » . وعندما انسابت مشاعري بالتأمل في هذا الفصل وجدت المحاضر ذا قابلية فذة منطقة النظير في التوغل والتغلغل عمقا والارتفاع آفاقا سيما فيما يخص استقصاء المعاني والاحاطة بها ، فقامت في نفسي الرغبة الجازمة لأن اساير المحاضر عمقا وارتفاعا وما عساي ان أفعل مع رغبتي الملحة هذه اكثر من ان اجمع الى نفسي اطرافي وآخذ الاهبة لها . ولا اكتم الله فانني غير واثق من مدى مسايرتي لما هو فيه لانه موهوب وموضع فيض الله ، وصرت اخشى ان يحلق فجأة كما حصل لي ذلك في غير هذه الفصول فتقعدني سرعة الانتقال من التعمق الى التحليق ، فأفقده وأفقد بفقده لذة النشوى الربانية التي تذوقتها من جراء مسايرته فاحتطت للامر ووطنت النفس ورأيت خير طريقة مثلى أتبعها هي ان اتغلغل شخصية هذا الرجل العظيم وأمكن نفسي في ذات نفسها تمكينا أستطيع معه ان أذوب خصائص الخاصة بخصائصه الخاصة فافكر بتفكيره وأتجه باتجاهاته حصانة لنفسي من الزلل والهبوط ولا أدري بماذا أسمي هذه العملية الروحية ، أأسميها فناء الشخصية المفكرة ذات المحيط الأصغر بالشخصية المفكرة ذات المحيط الاكبر ؟ او ملاشاة الشخصية بالشخصية او ركون الشخصية لجانب من الشخصيـة الأخرى . ومهما كان يجب ان تكون التسمية ، فالذي يهمنا منها مسماها اكثر من تسميتها لأن المسميات حقائق واقعة ذات نسبة روحية وخارجية والأسماء

تصوير لهذه الحقائق . فعجزنا عن التصوير لا يؤثر في الحقائق الواقعية فى شيء ، وها أنا ذا أنقل اليكم بحقيقته العليا وبشخصية علو مقاصده وآفاق مراميه الكامنة وراء الفاظه ومعانيه .

وان أنسى فلن أنسى قط تشجيع السيد ابراهيم الواعظ رئيس محكمة استئناف الموصل الذي عشق الحقيقة والفضيلة والخير العام الى حد خرج عن طوق تصويري وتصوري ، فجزاه الله كل خير وكلما كنت أبدي له صعوبة الاحاطة بمقاصد هذه الشخصية بعث الأمل الى نفسي وأعانني بما كان يغيب عنى من منقولات او معقولات ، وكان يذكر لي من مكارم المحاضر السيد احمد محمد خشبة باشا ما ملأ نفسى عن طريق أذني عشقا وقد استطاع باسلوبه العذب الجميل ان ينقل عشقه البصري للسيد خشبة باشا الى عشقي الأذني . وقديما قيل (والأذن تعشق قبل العين أحيانا) .

أعود فاقول لقد قرأت هذا الفصل بعد ان تقمصت روح المحاضر الكريم فوجدت أمرين شملا كل الأمور ، أمراً قاله فأيده بالبراهين النقلية والعقلية ، وأمراً أيده بنفس الأسلوب الروحي والعقلي ولكنه لم يقله بل استعان بالله ليقوله فقاله .

فقد قال في هذا الفصل (كتب الله للمؤمنين علواً فى الارض وتمكينا فآتاهم عقيدة التوحيد وجعل لهم منها تجانساً وحبا وبدلهم فيها من شتاتهم وما تفرقوا جمعا ثم أخذهم دينه القويم بما فيه اكثار عددهم بما حض على الزواج الى آخر ما قال) . وجاء بما يعزز قوله من الذكر الحكيم (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فهذه دعواه العظيمة وتلك حججه الدامغة ، قالها فأيدها فكان موفقا فى دعواه وبرهانه .

وقد استلفت نظري انه استلحق بالآية الكريمة الخاصة بوجوب الاستكثار من العدد

آيات كريمات اخرى قد لا نشعر لاول وهلة وبنظرة عجلى سطحية بما بين هذه الآيات والآية الخاصة بوجوب الاستكثار من علاقة وارتباط. وقد يبلغ بنا اشتطاط الحكم ان لا علاقة بينها وبينهن من ناحية وحدة الموضوع. ولما أعدت النظر بتأمل وامعان مستعينا بقبسه الوهاج أدركت حينذاك ما يريد. انه يريد ما لا يقوله إلا عن طريق قول الله لاسباب نفسية تسامت ذراها وستجدها مسهبة فيما بعد.

انه يريد أن يقول ان الاستكثار من العدد وان كان من اعظم العوامل ضرورة لحفظ الكيان الاجتماعي للامم والشعوب والقبائل، إلا ان قيمة العدد تزول وتضمحل وتذهب ريحها ان لم يؤيد العدد عدداً من الأخلاق الفاضلة والمكارم النفسية والمفاخر الروحية. فاستعان بالله على هذا المعنى فقال الله: « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ». وان هذه الآية الكريمة صورت ما يريد أن يقوله من ان هذا العدد يجب ان يكون متخلقا بالأخلاق الفاضلة، مدركا آثار ربه وحقيقة نفسه لأن الذي يمشي على الأرض هونا هو ذلك الذي بريء من الطيش والغرور والتفاخر بالحطام الزائل، مفكراً معتبراً بما أبدع الله، راجعا الى نفسه يعرف ما له وما عليه.

ولقد أثبت علماء النفس بأدلة مستفيضة ان لنوع المشية علاقة وثيقة بنفسية الرجل وخلقه وميوله ومدى مداركه وفهمه لعظمة الله وحكمته وفهم نفسه معا. وقد يتفق في كثير من الأوقات ان تكره رجلا لأول وهلة فاذا مشي صار الكره حباً، او تميل الى شخص فاذا مشي ملت عنه والسر في ذلك راجع الى ان في مشيته يبدو الشيء الكثير من خلقه ونفسيته. وأما الذي يقابل خطاب الجاهل بالسلام فهو ذلك الرجل الذي قدر الله حق قدره فعرف نفسه وأدرك عزة علمه وعلمه وعلو خلقه فاخذه العطف على هذا الجاهل المسكين الذي حرم خصائص الانسانية من علم وادراك وخلق وأدب. وكأن

خطاب الجاهل له اشعره بنعمة الله عليه بما أودعه فيه من فيض وما يترتب على هذا الفيض من علم وفضيلة ، وأشعره فى الوقت نفسه بحرمان الجاهل الذي كاد أن يلتحق بالعجماوات فكلا الشعورين التقيا فى مواضع الشكر من الانسان فعبر عن شكره لله اذ اصطفاه فأسبغ عليه هذه النعم بكلمة (سلاما) وهى خير كلمة تصور لنا مفاهيم الشكر ومدلولاته وكلمة (سلاما) لحيث جئناها وجدناها تتدفق فيضا ، فهي من الناحية الأخرى ادراك واسع النطاق لمعالي الأمور ، وما هي عليه من عزة ورفعة ، ولسفاسف الأمور وما هي عليه من ذل وضعة وصغار . فهي ادراك ايجابي للنعم وادراك سلبي للنقم . فهي للنعم شكر وللنقم عطف وهكذا ، فهي كلمة الله وكفى ، تقولها الأرواح المدركة فينطلق بها اللسان .

ثم يعود فيقول : يقول الله عز وجل « والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما » من هو الذي لا يشهد الزور؟ لا شك انه ذلك الرجل الذي يحترم الحقيقة. ومن الذى يحترم الحقيقة ؟ هو الذى عرفها فقدرها وعرف قيمتها وأثرها فى الفرد والجماعات ، والذى قدر له ان يتوغل فى معرفتها واحترامها قدر له ان يتقرب حتما الى مصدرها الأعلى وما مصدرها الأعلى إلا الله ، وأما الذين يمرون كراما عندما يمرون باللغو ، فاولئك الذين أدركوا او كادوا يدركون الغاية التي أرادهم الله عليها ، فانهم مع ادراكهم هذه الحقيقة المتسامية أدركوا في ذات الزمن نفسه ان اللغو سيعكر عليهم صفاء تأملهم بالله وبانفسهم ويبعدهم عن الاعتبار والاستقصاء والاستقرار الذى يدعوهم الله اليه . ثم يعود فيقول « والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ». ان الذين يخرون على آيات ربهم صما وعميانا اولئك الذين يدعون كل شىء ولا يعرفون كل شىء بل هم اولئك الذين سد الغرور والطيش مسالك تفكيرهم وثغور ارواحهم من

ان يدخل اليها علم او رحمة او عاطفة ، فضلوا وأضلوا غيرهم ووقفوا عند حدود الالفاظ وعموا عن المقاصد والغايات بخلاف المتدبرين المفكرين المعتبرين الذين ينصتون بآذان ارواحهم ليتفهموا ما يريد الله ، وحالئنذ تفتح لهم ابواب المعرفة على مصراعيها فيلجونها توصلا الى لذة المعرفة .

ثم عاد فقال (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) ان الذين يقولون هذا ويريدون هذا هم اولئك الذين تذوقوا لذة الخلود فطلبوه عن طريق الذرية المتحلية بكمال الخلق وفضيلة النفس وقد ثبت نفسيا ان البشر اذا ارتقى روحياً تكونت لديه غريزة تدعى بغريزة الخلود ، يلتمسها عن طريق نجابة ذريته خلقاً وعلماً ، لذلك نراهم دائبين ليل نهار يروضون أولادهم على الخلق الفاضل ويعودونهم على المكارم ومعالي الامور ، وغرض الغريزة من هذا التوجيه ان تحقق ذات حاملها فى أولاده الباقين بعد مماته ولذلك يدور على السنة المعزين لاولاد المتوفى قولهم (من استخلف مثلك او أمثالكم لم يمت) اي انه خالد فيكم ما دمتم وما دامت ذريتكم بهذه الاخلاق الفاضلة واما قوله (للمتقين اماما) فهو طلب لتحقيق أقصى ما تتطلبه الانانية العليا المتسامية ، لان للبشر كما لايخفى أنانيتين احداهما عامة وهي الانانية المقوتة المتعلقة بالارض وحطامها الزائل تحض صاحبها على التهافت والتسابق على ما لو رجع الى نفسه وفكر فيه بروح انسان لرآه غير جدير بما فعل ، والثانية خاصة للصفوة المختارة وهي الانانية العليا المتعلقة بمعالي الامور وبالايجابيات المطلقة والتطلع الى تفهم أسرار الله وآثاره والتوجه الى الله بالكلية الموهوبة له، تلك التى تتوخى ان تكون إماما للمتقين ، وتلك التي لا ترضى ان تكون تقية فحسب بل تريد ان تكون إماما للمتقين .

والآن أعود الى صاحبي معالي الاستاذ احمدخشبة باشا فأقول : انه عندما انتهى من

قوله ان الاستكثار من العدد ضرورة اجتماعية لا بد منها مرت بخاطره طائفة من من الافكار وكلها مما يؤدي الى معنى ملخصه ما فائدة العدد اذا لم يؤيده عدد من الاخلاق؟ وكاد يلتفت الى جمهرة السامعين فيقول : كونوا مدركين، كونوا عالمين ، كونوا معتبرين ، ولا تكونوا طائشين مغرورين ، تتفاخرون بما لا يسوى ، ولا تكونوا مختالين متكبرين لان ذلك دليل صغركم وعلامة حقارتكم وضعف بأسكم ، وحققوا ذاتكم الاعلى فيكم بان تقابلوا غي الجاهل برشدكم، علما منكم بان الجاهل لا يملك سوى بضاعة الشتم والدناءة فجاء ليصرفها عليكم ، فاقبلوا مبادلتها بنوع من بضاعتكم الثمينة ، على ان يدركه الخجل فيرعوى ويرجع عن غيه ، واشتروها بعملتكم وان كانوا ممن لا يفهمونها ولا يقدرونها تقديرها وحسبكم انكم فاهموها ومقدروها واحترموا الحقيقة ولا تشهدوا الزور لان الدراهم لم تكن يوما ما وسيلة لشراء الضمائر ، والحقيقة تجل من ان تسام .

ولا تبددوا وقتاً هو من عمركم باللغو الباطل ، فان اللغو حجاب كثيف يحول بينكم وبين حقيقتكم التى يجب ان لا تغفلوا عنها ولو برهة يسيرة ، ولا تتكلموا بما لا تعرفون فتضلوا أنفسكم وغيركم ولا تعطلوا أمانة الله فيكم تلك الامانة التي أبت الجبال ان يحملنها واشفقن منها ، وليكن فيكم العقل والقلب عقلا وقلباً وفق الغرض الذي أرادهما الله لها لا عقلا وقلباً ممسوخين عن حقيقتها ، والتمسوا الخلود بتنشئة أولادكم تنشئة صالحة فتعيشوا عصوراً ودهوراً لا أياما معدودات .

هذا ما أراد ان يقوله ، إلا انه رجع الى نفسه المغمورة بحب الحقيقة فمنعه تواضعه ان يوجه هذه الزواجر والروادع ، وأشعرته نفسه ان هو إلا بشر مثلهم ، ورغبته هذه وان كانت واجبة وهى من مقتضيات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر غير ان القوم قد ابتعدوا عن الحقيقة ابتعاداً شاسعاً يتطلب زجراً وردعاً شديدين ، وهذا النوع لا يلتئم

مع فضيلة تواضعه كبشر فاستحوذت عليه الحيرة بالتوفيق بين ما يجب وفضيلة النفس فاستعان بالله واستنجده فتدفق لسانه بالصور التي يريدها على أشد أساليبها عن طريق الله(ومن هو أحسن من الله قيلا) .

ـ العدل والمساواة ـ

لقد افتتح المحاضر الكريم هذا الفصل بما يسميه البيانيون براعة الاستهلال او براعة المقطع وذلك بايجازه مدلولي العدل والمساواة الضامنين نفع الجماعات والاخذ بيدها نحو الطريق السوي وابعادها عن الضلال ، وكأني بالمحاضر الكريم عندما يمر بآية كريمة يعد العدة ويجمع شتات النفس ويقصر الانتباه الى الروح العالية الخفية وراء الكلام فلا يزال بها حتى يحيط بها احاطة تامة ، فاذا ظفر بها ثبتها اولا ثم جد في السير فاستلحق بها الفروع والاجزاء والاستثناءات وقيد مدلولاتها العامة بما يشايع هذه الروح ومراميها واغراضها ولذا وجدته قد ثبت بهذا الفصل مرامي الآيات الكريمة التى أوردها لهذا الغرض وأشار الى الجانب الروحي من هذه الآيات الكريمات بما يأتي : « أوصى الدين الحكيم أتباعه المؤمنين بان يلتزموا العدل في حكمهم وقولهم وما يعملون وان يراعوا جانب المساواة بينهم وكان من تلطفه بهم ان حدد للمساواة معناها بما يحقق للجماعة نفعا ويجنبهم ضلتها مما لا يستقيم إلا به فى الجماعة عدل ولا انصاف » . وقد لا أكون، بل أراني أكون حيث الصميم من الحقيقة لم ابتعد عنها ولم أتأخر اذا قلت أن جميع الآيات الكريمات التي أوردها بهذا الفصل ترمي بروحها الى هذا المعنى (وكان من تلطفه بهم ان حدد للمساواة معناها بما يحقق للجماعة نفعها ويجنبهم ضلتها مما لا يستقيم إلا به فى الجماعة عدل ولا انصاف) .

وعندما قرأت الآيات الكريمات بتأمل روحي وقرأت أثر ذلك ما جعله المحاضر براعة

استهلال للروح المتوخاة من هذه الآيات ، اتجهت ذهنيتي باعجاب وتقدير بالغين الى سعة ثقافة المحاضر سعة جلت أن يحيط بها وصفي او تقريظي ، وكل ما هو في مقدوري ان أقول انها بلغت من سعة الآفاق أنه يستطيع تسجيل روح التشريع الواردة في الذكر الحكيم في ايجاز بليغ . ولست أشك أن هذا الايجاز مستمد من القرآن نفسه وفي المكنة تسمية هذا النوع المبتكر (روح التشريع) او (اغراض القرآن العليا) أو (بيان لوجه اعجازه) او (فلسفة التفسير) على ان يكون هذا المؤلف خاصا بالطبقة المثقفة بالثقافة الاسلامية من المجتمع العربي .

وسأسجل في محاولتي هذه بعض الآيات الكريمات التي أوردها دليلا الى ما ذهب اليه. لقد أورد فقال : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا إلا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا لعلكم تذكرون » . لقد صور الله لنا صورة من الظلم المتمثلة باستغلال مال اليتيم استغلالا لا فائدة لليتيم منه ، وبما ان ارادة الله المطاعة تعلقت بوجوب الابتعاد عن هذا الظلم الجائر لذلك أوردها الله باسلوب النهي الحقيقي الزاجر ثم أعقب هذه الصورة المنفرة بصورة من العدل الجميل المحدد بما يحقق للجماعة نفعها ويجنبهم ضلتها كما جاء في قول المحاضر وهي وجوب التقرب الى مال اليتيم بقيدين : أولهما ان التقرب يجب ان يكون لغرض انتفاع اليتيم فيدر عليه هذا الاستغلال ربحاً يكفل له العيش الهني، مع الاحتفاظ بالاصل . وثانيهما ان هذا التقرب مقيد بزمن بلوغ اليتيم أشده وحينذاك يكون هو وحده المسؤول عن وجوه الاستغلال بماله والتصرف به حيث شاء وأنى شاء. وأما استغلاله من قبل الوصي أو الجهة المسؤولة باعتبار ما كان اليتيم لا باعتبار ما يكون ، فباعتبار ما يكون ينتفي حق التصرف وان كان لفائدته، وان كان التصرف على

أحسن الوجوه . ثم انظر الى قوله عز وجل : « لا نكلف نفسا إلا وسعها » تلك قاعدة اجتماعية عظمى يجب الاخذ بها فى كل الاحوال وهى أن مقدار التكاليف ونوعها ، قرنها تتناسب وتتوازن مع قوة السعة ومداها ، فلا يحق بعد تلك للغني أن يقول لم يكلفني الله بالزكاة ولا يكلف الفقير ولا لمن استطاع أن يصوم رمضان ان يقول لم يعفو الله المريض ولم يعفني ولا لمستطيع الجهاد أن يفكر باعفاء الشيوخ والاطفال ولم يعف ، لان التكاليف على قدر السعة . وقوله تعالى عز وجل : « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » . لقد امتد عدل الله في قول الحق فبلغ الزامهم هذا القول وان كان ممن يؤذي الاهل والاقارب . وعقيدتي الشخصية أن النفس تدخل فى مدلول كلمة القربى فيتسع هـذا المعنى الجميل حتى يبلغ قول الحق ضد نفس القائل ايضا ، كل هذا لغرض تحديد العدل والمساواة بما يحقق للجماعة النفع ويجنبهم الضلال كما ورد فى المستهل من كلام المحاضر نفسه .

وقوله تعالى عز وجل (وبعهد الله أوفوا) . قد يتبادر الى الذهن باديء ذي بدء ان لم يقصر الله الايفاء بعهده دون بقية العهود ، وللعهود أثرها البالغ فى حياة الجماعات ؟ وبتأمل قليل يفصح الصبح لذي عينين ، ان كل عهد عظم او ضؤل داخل فى حقيقة عهد الله فالذي يفي بعهد الله لا يخون . ونكث العهود المتبادلة بين الناس خيانة صريحة والذي يفي بعهد الله لا يكذب . ونقض عهد الناس كذب محض . ولو عدنا فتأملنا بنظرة واسعة لوجدنا الايفاء بعهد الله شاملا كل الفضائل نابذاً كل الرذائل ، وأمثلة ذلك ان الذي ارتضى دين الاسلام دينا ، يجب ان لا يغتاب الناس وان لا يتجسس على الناس وان لا يسخر من الناس بدليل قوله تعالى عز وجل (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن) . فالذى قبل هذا الدين عاهد الله عليه ، وايفاء العهد يقتضي

تجنبه ما نهاه عنه هذا الدين . وان كان لا بد من الاستزادة من الامثلة تثبيتاً للصورة الذهنية لهذه الحقيقة السامية نقول : من قبل هذا الدين وجب عليه ان يكون متحلياً بفضيلة التواضع بدليل قوله تعالى عز وجل (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) فالقبول عهد ، والعهد يجب ان يوفى . ورغم ان العهود داخلة فى مضامين عهد الله فقد أورد الله العهد المطلق بقوله تعالى عز وجل (واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا) وفى اجتهادي الشخصي الذي ارتضيه لنفسي ، ولا أدعو أحداً ان يشايعني عليه إلا اذا شاركني فيه مشاركة عقلية تامة ، ان الآية الكريمة (وبعهد الله اوفوا) على ايجازها البليغ هي موجز كل ما جاء فى القرآن الكريم من معان راقية وشرائع عالية وأغراض متسامية وفيها وجه من وجوه اعجازه .

ولا بد لي أن أقول أن كل ما ورد آنفا منه ومني حجة قائمة لما أفاض الله على محاضرنا الكريم من ينبوع حكمته فتفرق هذا الفيض ثم تجمع فتمثل بقوله (وكان من تلطفه بهم أن حدد للمساواة معناها بما يحقق للجماعة نفعها ويجنبهم ضلتها) وقد أورد في هذا الفصل (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربي) انظر يا رعاك الله الى الدقة بالعدل المتمثلة بهذه الموازنة الآلهية الجميلة والعظيمة معا .

اقتضت بلاغة الاطناب أن يذكر الله الخاص بعد العام وهو (إيتاء ذي القربي) مع العلم أن القربى داخل في عموم العدل والاحسان ولكن لطفه تعالى اقتضى تخصيصهم بهذا العدل وذاك الاحسان قبل غيرهم وبذلك يستلفت الانظار الى الآية الكريمة التي سبق ذكرها (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) فاقتضى عدله أن يخصهم بالعدل والاحسان كما طلب أن يمتد قول العدل عليهم ولو أفضى هذا القول الى الاضرار بهم فهنا عدل واحسان وهناك ايذاء واضرار وكلاهما عدل اجتماعي ، وكلاهما تحديد لمعاني

العدل والمساواة بما يحقق للجماعة نفعها ويجنبهم ضلتها) ، لقد أورد المحاضر الكريم الآية الكريمة (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على النـاس يستوفون وإذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ألا يظن اولئك انهم مبعوثون) . إن هذه الآية الكريمة وإن وردت لمقـاومة رذيلة الغش إلا انها جاءت في ذاتها كصورة اخرى لما هو ضد العدل والمساواة مع تحديد للمعاني المضادة للعدل والمساواة في ناحية معينة ، إذ ليس من العدل والمساواة أن يستوفي المطفف الكيل له وإذا كال أو وزن للناس أخسر الميزان فيفقد في هذا التباين العـدل والمساواة ويثبت الغش والخيانة ، كما أن هذين المثالين المختلفين الاجتماعيين تحديد ايجابي وسلبي لمعاني العدل والمساواة تحديدا لا التباس به ولا ابهام .

لقد أورد الآية الكريمة (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم)، إن قوله تعالى جلت قدرته (ذكر وانثى) تجريد تام للبشر من ألقابه وصفاته الاجتماعية ، فلا سيد ولا مسود ، ولا عظيـم ولا حقير ، ولا كبير ولا صغير ، ولا غني ولا فقير ، ولا حاكم ولا محكوم ، ولا عزيز ولا ذليل . فهذه الألقاب والنعوت من صنع البشر وليست من صنع الحقيقة ، وكأني بهذا البشر السادر في ضلاله وغلوائه لما نفض يديه من عبادة الأوثان واتجه الى التوحيد أراد أن يستبقي أثراً ينم على تعظيمه لمعبوده الراحل فاستعاذ عنها بالألقاب فالشريعة الاسلامية الغراء لم تكتف بمطاردة الأوثان وعبادها بل أرادت الاستئصال التام بمطاردة ما يشير الى هذه العبادة من آثار ، فطاردت الألقاب والنعوت المزيفة ليتـذوق المسلم الصفاء التام غير المشوب .

لنعد ثانية الى كلمتي (ذكر وأنثى) ان هاتين الكلمتين عدا ما أراد الله بها من مدلولات جعلها تمهيداً للفكرة التي شاءت إرادته ان يثبتها في الأذهان وهي القاعدة الكبرى

ومقياس الفوارق الاجتماعية (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) لأن الله تعالى يعلم وهو خير العالمين ان كل فكرة سامية لا تستقر فى الأذهان اذا لم يمهد لها بفكرة اخرى نمت اليها بسبب. عدا انها تحمل بمعناها الواسع لمحة من لمحات إعجاز القرآن. ثم شاءت قدرته ان يجعلهم شعوبا وقبائل يتباينون ويتمايزون، وجعل علة التباين والتمايز لغرض التعارف فالتقارب. ولو انعدم التمايز والتباين لانعدم التعارف فالتقارب وانعدم بانعدامها كل شيء وأصبح البشر نوعا من انواع الاحجار الملقاة على قارعات الطرق. والتعارف الذي هو الغرض الأعلى لا يكون كما أمر الله ان يكون إلا اذا أدركت الشعوب واجباتها وتفهمت حقوقها وأدركت فى الوقت نفسه ان التوصل الى حقوقها كاملة منوط بتأديتها واجباتها كاملة، وفى هذه الآية الكريمة توجيه اجتماعي للشعوب لتقوم بما عليها توصلا الى ما لها فجعل الواجب طريقا للحق وعلى قدر التقصير بالواجب يكون الحسم من الحق وهذا فى عقيدتي تفسير قوله تعالى (وما ربك بظلام للعبيد).

وأعتقد جزما أن شقاء البشر وضلال الشعوب واوهامها والسخط المنتشر في كل نفس وفى طرف كل لسان فرداً وجماعات وقبائل وشعوبا، ناجم من عدم ادراكهم حقيقة هذا التعارف المراد، وما علينا لندلل على هذه الحقيقة إلا ان ننظر الى سيرة الرسول الاعظم (ص) والى خلفائه الراشدين فى تلك الفترة من الزمن وكيف انه (ص) أدرك هذا المعنى ادراك محيط به، فتعارف مع الشعوب الاخرى تعارفا أدى الى ان تشمل موجة السعادة البشرية جمعاء. أما مفهوم التعارف فى عصرنا هذا فهو قائم على اساس احتكار النفع المادي كله في جهة والحاق الأضرار المادية والادبية فى الجهة الاخرى، فاين هذا من ذاك؟ فلقد تعارف الرسول فخلق من الاسلام اسياداً مطاعين للشعوب، وتعارفنا ففقدنا سيادتنا حتى على انفسنا وارادتنا ومشاعرنا وعقولنا، وفقدنا معها المقاييس التي

نفرق بها صالحنا من طالحنا ، ومن أراد بنا خيراً ممن أراد بنا شراً . فلا أدري بعد هذا أأطلق على كلا التعارفين تعارفا ام ذاك تعارفا وذا تناكراً ؟ ام أسمي تعارفنا تعارفا ممسوخا . انظر الى تعارف الرسول الأعظم (ص) حينما كتب الى اكيدر صاحب دومة الجندل عندما لحق بعلمه انه يرغب بالاسلام لكنه يخشى أن يذهب الاسلام بماله وعقاره ومنتوجات ارضه اذ لا يمكنه وهو لم يقدم بعد الى الاسلام فهم اغراض الدين الاسلامي ومراميه فكتب اليه : (من محمد لأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام . ان لنا الضاحية من البعل والبور والمعامي واغفال الارض والحلقة والسلاح ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور ولا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة عليكم بذلك عهد الله وميثاقه). فأين هذه المعاهدة من معاهدات هذا العصر ؟

أما قوله تعالى « ان اكرمكم عند الله أتقاكم » لأن الله تعالى لما كان يعلم ان هذا البشر بحكم غرائزه وفطرته التي فطر عليها أن يميل الى التفاخر والتنافر وان لا بد أن يعوض هذا الدين الحنيف ما حظره عليهم من العصبية الممقوتة فاستعاضها بالتقوى ، والتقوى هي مجموعة الفضائل فجعلها اساسا للمفاضلة بدلا من العصبية الممقوتة والعزة بالاثم ، تلكما التي أودت بحياة العرب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وأفقدتهم كيانهم الاجتماعي والسياسي معا بالاضافة الى الشعوب الاخرى . واذا شاء أحد أن يسبر غور ما أصابنا من المسخ بالنظر الى حقيقة الدين الاسلامي الاغر فلينظر الى مقياس المفاضلة في حقيقة الدين ثم يلتفت الينا وينظر مقياس المفاضلة عندنا نحن مدعي الاسلام وكفانا بعدا اننا نتفاخر ونعتز على قدر مجاوزتنا لحدود الله ومخالفتنا نصوص الشريعة والقوانين المرعية ونجهل او نتجاهل بعد ذلك اننا في مخالفاتنا . هذه اهانة صريحة للدين والبلاد ، لان الشريعة من صنع الدين والقوانين من صنع البلاد

فليتأمل المتأملون .

أنهى المحاضر الكريم حججه الدامغة المستمدة من روح الذكر الحكيم بقوله : « قرن الدين الحنيف ما ذكرت من وصاياه باخذ المؤمنين بالبر والمعونة والرحمة لليتامى والفقراء والمساكين اتماما لنعمته تعالى واستزادة من توثيق تراحمهم ومحباتهم » . وكلما أجلت الفكر وأدرت النظر شاطرت المحاضر تفكيراً وبصيرة وجدته ميالا كل الميل ان يقف حيث وقف الله ويسكت حيث سكت الله ، إلا انه لم يكد يسكت سكتته بتلك البرهة الألهية غير الزمنية إلا وقد اهتزت مشاعره المتسامية فتبين الامر ، واذا هناك موجات فيض ربانية متلاحقة متتابعة جاءته من الينبوع الاعظم تخلد في فترات تلاحقها الى لذة السكوت ليتملأ من معانيه المجردة عن الالفاظ والاثواب لا الى السكوت الذي لا كلام بعده .

فصمت صمته البليغ ولا عجب فالبلاغة نعت للكلام وللصمت عنه ، وما الحذف الوارد فى القرآن الكريم إلا صمت بليغ ، أجل فقد صمت هذا الصمت البليغ وسكت ذاك السكوت الملىء باللذة والنشوى الروحيتين ، وأمواج الفيض الألهى تتعاقب متلاطمة صاخبة في مشاعره فلم تزل بها حتى ملأتها وأنافت على اليفاع .

فأنصت إنصاته الروحي الجميل متبينا متفهما ما يأمر به الله جلت عظمته ، واذا به قد رفع الى مقام الادراك لماهية المقاصد الربانية العليا ، واذا به يسمع باذن روحه الخالصة من كثافة الحياة الأرضية السابحة فى نعمة رضاه من المعاني المؤداة الى هذه الالفاظ . انه وان أحسن وأجاد وحقق ما يريده الله عن طريق الله ، إلا ان هناك نوعا من البشر لما يتذوق بعد جمال العاطفة والعقل فى خطابيات القرآن ، وانهم حرموا الفهم الذوقي والادراك التواجدي والمعقولات المتعالية . ولم تبلغ بهم عقولهم آفاق روحية كل نص وتشريع .

فأذن له ان يخاطبهم خطابا حسابيا أرضيا وفق مقتضى حالهم ذا أعداد وأشكال مجسدات لا يخرج عن نطاق تفكيرهم وآفاق نفوسهم على ان يرجع الى الله بعد ان يتم له ما يريده من تقرير الحقائق بما ينسجم ونوعية تفكيرهم ثم يلحق ما يتم عنده من المثبونات الى شامخات حقائقه الاولى لتكون سفحا لها متصلا بالارض من جهة كما أرادها الارضيون، وذا علاقة بالقمة من جهة اخرى لان القمة مهما امعنت فى التسامى والسفح مهما أمعن في الانخفاض فان مدلول الجبل لا يتم إلا بهما ولا عجب فان الله تعالت قدرته لم يخاطب الناس بنوع واحد من الخطاب، بل أوجز وأطنب وأجمل وأسهب، وتباينت صوره البيانية وكل ذلك كان وفق مقتضى الحال واستلزام الواقع.

وهكذا كان رسوله الأعظم (ص) فانه خير من أدرك الحال ومقتضياتها فلقد كتب الى كسرى يدعوه الى الاسلام. وكتب الى رؤساء الاعراب يدعوهم الى الاسلام، ورغم وحدة الموضوع فقد نوع الخطاب وأساليب الكتابة بين ايجاز وأطناب واجمال وتفصيل وسلاسة وجزالة وفقا لمقتضى حال من وجه اليهم هذه الكتب علما وروحية وذكاء وفهما لمفاهيم الكلام ومراميه وتنويعه هذا تقديراً دقيقاً لدرجة الفوارق النفسية بين البشر، والفوارق النفسية قائمة ثابتة منذ وجد البشر فهي تختلف وتتباين كثرة وقلة وقوة وضعفا، على قدر تقربها من القمة التي ألمحنا اليها آنفاً، والابتعاد عن السفح او بالعكس وقد شاءت إرادة الله النافذة ان يكون هناك نوع من البشر مجهز بما يجعله مدركا بما فى القمة من الخير وجماله ومن العظمة وجلالها، كما شاءت إرادته ان تكون طائفة اخرى من البشر محرومة من الوسائل والادوات التى بها تدرك فتتذوق الجمال والجلال والعلو والاكبار. فهي ملتصقة بالسفح لا تريد ان تفارقه، ولو خيرت لانفصلت حتى عن السفح وغارت فى أعمق أغوار

الارض تحقيقاً لغرائزها الوضيعة ، ولتأكل نفسها بنفسها جشعاً وطمعاً وتأييداً لانانيتها الحيوانية ، ومهما حاول المصلحون والعظماء ان يرفعوها ، يرتد جهدهم فاشلا وهو كليل. فهي تأبى إلا رسوخا في الارض كالحجرة الثقيلة ان رفعتها عادت هابطة بقوة هي اضعاف قوة الرفع لان الغرائز ان توجهت الى خلاف ما خلقت لها دافعت عن نفسها بنفسها باضعاف القوة الموجهة .

واما الطائفة الاولى فهي الصفوة المختارة التي تفتحت مداركها لكل خير وجمال ومثلها كمثل الشعلة التي تحاول جهدك لتوجيهها الى الارض وهي تأبى إلا ارتفاعا .

لقد من الله علي ، وما اكثر مننه ، فرفعني الى مرتبة من ادرك ان الاذن قد تم لي من الله جلت عظمته ومن المحاضر الكريم لان أشاركه في الانصات الروحي ، فلحق بعلمي ان قد ألقي في روح المحاضر : ان خاطب السفحيين بمنطقك واني ممدك ما شئت ان أمدك . قل فانك انت الأعلى فصدع بالامر فقال : على انما لفت نظري في اقواله الآتية انه فيها لم يتطرق الى آية كريمة او روحيات يرجع ادراكها الى الذوق الروحي بل هو فيها كالسيل المتدفق الصاخب منطقا تسنده هالة مستحكمة الحلقات من البراهين القاطعة والحجج الدامغة التي يرجع أمرها الى الفلسفة العقلية المحضة وكأني به يخاطبهم فيقول ان لم تتذوقوا هذا فاليكم هذا الآخر : فديننا ليس روحيا فحسب وانما هو روحي وعقلي وفلسفي واجتماعي وسياسي واقتصادي وكل ما من شأنه ان يخرجكم من الظلمات الى النور ، فهو حق أنى جئتموه وكيفما اردتموه ، وكفاكم منه انكم ستجدونه حقا حتى اذا أردتم ان تكون البراهين على احقيته عن طريق ما تحترمون وتعظمون وقد تداعت المعاني في خواطري ، فذكرني منطق المحاضر الفياض بمنطق الله الذي لم يدع للمشركين قولا ولا حجة . فسقط في ايديهم وبهت الذي كفر « ان الذين تدعون من دون الله لن

عاد المحاضر بعد تلك الفترة الروحية فقال (صلاح اعمال البر والخير ونفعها للجماعة كان ولا زال مثار خلاف بين الباحثين) وسبيله في ذلك ان ثبت وجهة نظر كل فريق ثم عاد ففند بأدلة مستقاة من معين الحق فازهقت باطلهم ومذاهبهم ، فلم تثبت هذه السبل المتفرقة ولم يبق إلا الصراط الحق المستقيم فتمت الغلبة له . وقد ثبت وجهة نظر الفريق الاول فقال (فان فريقا عظيما منهم لا يرى فيهـا إلا أثراً لذلك الضعف الذي منيت به الانسانية منذ نشأتها فلازمها فى تدرجها ولم تجد الى الخلاص منه رغم تقدمهـا سبيلا بما زعموه من منافاتها للعدل باسداء الخير والمال لعاجز لم يقدم للجماعة ما يستوجب جزاء وأجراء، وبما توهموه ملازما لتلك الافعال من إغراء على الكسل والتواكل وتثبيط للعزائم وإعراض عن العمل وموارد الخير والرغد) .

ووجهة نظر الفريق الثاني (ومنهم من يرى في اعمال البر زخرفا من زينة للناظرين ولا تؤتي الجماعة نفعا) . والفريق الثالث بقوله (وآخرون تبينوا اصلاحها ولمسوا جليل أثرها وما توثق من روابط ومحبات فقد وجهوا الانظار الى ما تجنيه الجماعة من الخـير بمعونة من مال او رفد) الى آخر ما ثبته من رأيهم في المحاضـرة نفسها . وبعد تسجيله الوجهات الحائمة حول الموضوع تكلم فقال (واني متناول هذا البحث عسـاي أوفق لاقناعكم بفساد ما يزعمون) .

أعتقد ان قدرة المحاضر على الاطناب لا تقل عن قدرته على الايجاز . فانظر الى ايجازه الجميل عندما كان يعمل في طريق الله (وكان من تلطفه ان حـدد للمساواة معنـاها بما يحقق للجماعة نفعها ويجنبهم ضلتها) وانظر الى إطنابه البليغ عندما كان يعمل في طريـق المنطق والفلسفة المعتزة بجبروت العقل ، وأرى لزاما علي ان أوجز فى إطنابه كما أطنبت فى ايجازه . فقد سبق لي ان فصلت ما أجمله في عبارته (وكان من تلطفـه ان حدد

للمساواة معناها بما يحقق للجماعة نفعها ويجنبهم ضلتها) وأبنت انها كانت تفسيرا لاغراض عدة آيات كريمات .

أعتقد جزماً ان المحاضر الكريم لو لم يكن في حضرة المنطق المحض ولو لم يكن مخاطبوه الآخرون ممن تستلزم حالهم الاطناب لالتفت فقال - واكتفى واكتفوا بما قال - كل فرد مهما كان ومهما يكن وكيف كان وكيف يكن من غنى وجاه وعلم وذكاء عامل اوصاحب معمل ، سياسي او اداري ، موظف او تاجر ، عالم او متعلم ، فلاح او صاحب اطيان وعقارات ، محترف او مكتشف ، فهو كفرد مدين حتما للجماعة التي هيأته لان يكون كما هو كائن . وقد تناصرت الأديان والشرائع والقوانين الارضية والمبادىء الانسانية حتى بأوليات ظهورها ان الديون حق صريح للدائن على المدين والديون وما اليها خاضعة للقاعدة الفقهية (الديون تقضى بامثالها) فالغني مثلا لا يمكن ان يكون غنياً بحال من الاحوال ما لم تمهد له الجماعات هذا الغنى ، والمكتشف يتعذر ان يكتشف ما يفيد الانسانية مهما عظم او ضؤل ما لم يجد نصيرا وظهيرا من الجماعة نفسها ، والعالم كيف تتسع قابلياته للعلم ما لم يتقلب على عدة وجوه من الدراسة على انواعها ودرجاتها وعلى عدة افراد من الجماعة نفسها ممن كان لهم قدم ثابتة في العلم الذي هو طالبه ومريده ويقرأ مؤلفات عدة سبقه اليها كثير من العلماء المعاصرين له وغير المعاصرين وما يقال عن هؤلاء يقال عن الصانع والعامل والمالك والسياسي والاداري والمالي .

فاذا ماسلمنا بهذه الحقيقة التشريعية أفلا يحق للجماعة ان تطالب الغني بان يدفع من غناه لمن قعدت به العاهة عن العمل من الجماعات ، وتطالب العالم الذي هيأنه ومكنته مما يريد ان يوفي بعض ديونه للجماعات بان يعلم أبناءها الناشئين ، وان تطالب السياسي ان يوجه سفينة الجماعة بيده الحكيمة الى ساحل السلامة . أعود فأقول ان المحاضر اراد

ان يقول : ان الافراد مدينون للجماعات والديون تقضى بامثالها وكفى بها شاهدا ودليلا إلا ان الموقف لا يتطلب هذا الايجاز بل يتطلب إطنابا وإسهابا لان الصور الاجمالية اذا لم تؤيدها الصور التفصيلية التي تستفاد من الامثلة والنماذج لا تستقر في الاذهان ولا تتمثل ولا تتجلى حقيقتها تمام الانجلاء .

يقول المحاضر (خذوا الزراع مثلا فقد يقول منكم قائل ان عمله يقتضيه ان يكب على أرضه طوال سنة يثيرها ويسقيها ويبث حبها ويتعهد حفظها وربها حتى اذا تم حصادها قامت الجماعة تدعوه لان يقدم مما كسب جزءاً من ماله لمن لا يشاركه في شيء من مجهوداته ونفقاته ، ولكن ألا يرى ذلك القائل ان الزارع لا يثير الارض ولا يسق الحرث بذراعيه منفردين ؟ ألا يراه مفتقرا فى ذلك الى آلات وادوات لا يغيب عنكم ما فيها من كبير العون له بما تؤتيه من قوة وتمكين وإجادة فى تهيئة الارض ومدها بما يوفر حاجاتها من الماء مما يحفظ بذرتها ويزيد فى غلتها ، ولا مثار للجدال فى ان هذه الادوات والآلات لم تكن من صنع يده ولا بنتيجة ابتداعه ، فكثيرا ما يجهل الفلاح صنعها فلا يعلم من أمرها إلا ما يستفيده منها . وهذه الادوات والآلات التي تهيء أرضه وتنمي حرثه وتزيد غلته وتكبر من دخله ، انما ابدعها وعكف على اتقانها مئات من الناس سبقوه الى آخر ما قال) . لا شك في انه في غير هذه الحال كان يقول (ان الفلاح يجب ان يقدم للجماعة التي هيأته لان يكون فلاحا جزاءاً مما كسب إيفاء لبعض ما لها عليه من دين والديون تقضى بامثالها) . ثم يترك الفلاح كحلقة أدنى فى سلسلة المجتمعات الى العالم المكتشف كحلقة عليا في نفس السلسلة فيقول (وما قدمته يصدق على عالم وفق بعلمه الى الكشف عن جديد آتاه مالا فان للجماعة ان تطلب اليه ان ينفق مما رزق على البائسين المنكوبين من ابنائها ومحال ان نتوقع من هذا العالم رفضا لطلب الجماعة او ان يرى هو

فيه هضما وظلما . فما كان ليغيب عنه يوم ان وفق ما للجماعة من فضل عليه فيما أحرز من خير ومال وما كان ليخفي عليه ان الجماعة هي التي زودته في دور تعليمها وبعناية من انقطع للتدريس من بنيها بما لا ينكر انه كان بداية علمه ونجاحه . كذلك لم يكن ليجهل اذا أتم في المعاهد درسه انه وجد معينا فياضا من معارف وعلوم شتى مما اهتدى اليه الأولون وعكف عليه خلفاؤهم من بعدهم بالدرس والفحص يسجلون غامضه ويزيدونه سعة وتعمقا فاغترف من العلم والحكمة من ذاك المعين ما شاء وشاءت له مواهبه مما لقي فيه خير معين على ما أحرز من توفيق ونجح ومال) . وليس من شك ان المتغلغل فيما ذهب اليه محاضرنا من المعاني المستفيضة تشير بوضوح الى ان العالم مدين بعلمه للجماعات وعليه ان يفي ما عليه مما ناله منها من العلوم (والديون تقضى بامثالها) .

وهنا انتهت رسالته المنطقية فتخلص منها راجعاً الى الله وانه على سعة ثقافته المنطقية وقوة حججه وإيفائه الموضوع على أتم الوجوه وأكملها وجدته عندما انطلق منها الى الله كانطلاق السجين الى حيث الحرية والتحرر ، ولا يسوغ ان نمر على هذه الحال ما لم نسجل لمحاضرنا العظيم هذه الحقيقة ومؤداها انه على غناه في الروح والعقل والنفس والثقافة فهو ممن اختارهم الله لنفسه فأدبهم ، فأحسن تأديبهم ، لذا نراه يحرص كل الحرص ان يكون مع الله يرضى برضا الله ويغضب لغضب الله . وهذه الظاهرة الملحوظة من المحاضر تدل ان العقل مهما علا واكتشف فان طرائقه لا تتعدى حدود الظواهر فقط ولا يمكنه ان يرضي خوالج النفس وما تضطرب بها من عواطف ويختلف اليها من أماني وآمال . ومن هنا يتأتى للروحيين انهم في تعليلاتهم المنطقية أشبه مايكون عليه السجناء على ثروتهم العقلية وانهم عندما ينتقلون الى ساحة الروح الفسيحة نراهم يروحون اليها في نشوة قريرة واستغراق لذيذ ناجتين من انهم فيها يسبحون في روعة تمجيدية عابدة

يشعرون معها بلذة الرجوع الى الأصل والالتحاق بالحق الأعلى ، فهو من هذه الناحية كابن الفارض عندما يقول كما سبق وسجلناه :

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهوا حكمت بردتي

ولو طلب الي كمتطفل على تاريخ الأدب لأقول كلمتي في المحاضر لقلت كما يقول مؤرخو أدبه انه ثائر على الحياة وعلى هذا البشر الضال ساكن كهف أفلاطون ، وتعليلهم فيما يقولون انه نابغ وعبقري رفعته عبقريته ونبوغه عن مستوى مواطنيه ، ومن عاش في هذه الاجواء العقلية تعذر عليه مسايرة مواطنين اتسعت شقة الفارق بينهم وبينه ومشايعتهم ، إلا انني أقول غير هذا والحظ غير هذا ، الحظ فيه هدوءاً لا يشوبه اضطراب ، واستقراراً لا يمازجه قلق ، ووثوقا لا يخالطه شك،وتعليلي في هذا ان الحقيقة قد ألفته وألفها الى حد التفاني والتمازج كالصنوان لا يفترقان ولا يمكن تفرقة احدها عن الآخر ، فهما اثنان ولكنهما واحد ، ومن لا تفارقه الحقيقة كان هادءا لا ثائراً لان الثورة تأثير خارجي في النفس ، والثائر في ثورته اعتراف منه الى مدى تأثير الخارج في الداخل وما الثورة إلا استعانة من الثائر بها ليضيف قوة جديدة الى الداخل ليوازن قوة الخارج للمقاومة . وفي هذا وضوح الى قوة الخارج وضعف الداخل . وأما الهدوء أبلغ ما يكون وهو غير ناطق ان ليس في الخارج ما يؤثر في الداخل وفي هذا إشارة الى قوة الداخل وضعف الخارج . واذا كان لا بد للهاديء من ثورة فثورته روحية ودفاعا عن صنوه الحقيقة إلا ان ثورته مما يعجز عن إدراكها إلا الروحيون .

وأعتقد ان استاذنا قد استعاض عن الثورة بالعطف على أمته التي ينتمي اليها وكلما أمعنت النظر وجدت محاضرنا من الناحية العقلية وخصوبتها شبيها بشيخ المعرة ابي العلاء ولكنهما من الناحية الروحية جد مختلفين ، اختلاف الشاك مع المؤمن ، فشيخ المعرة شاك

وهو مؤمن لذا نجد أبا العلاء ثائراً وصاخبا ونجده هادئا ، فثورة ذاك بحثا عن الحقيقة المفقودة التى فارقها فاستعاض عنها بالثورة والسخرية ، وهدؤ الاستاذ العلامة محاضرنا تآلف تام مع الحقيقة على اني اذا طولبت بتثبيت تاريخ مصادقته مع الحقيقة ومنشأ تآلفها وهل سبق ان تقلب على وجوه كثيرة من الشكوك والثورات حتى أدى به المطاف الى ان يظفر بالحقيقة فكانت له وكان لها كالاستاذ العلامة الغزالي رحمه الله .

ومن اعجب ما لاحظته ان بحثه عن الحقيقة كان متبادلا مع الحقيقـة نفسها ، فكانت تبحث عنه كما كان يبحث عنها . فلا أدري أأهنيء الحقيقة بمن ظفرت ام اهنئـه بالذى ظفر ؟ ام لا هذا ولا ذاك ، فانها قد وجدت نفسها فيه ووجد نفسه فيهـا ، فهما واحد . فذلك ما سأحيله احالة أخ لأخ وزميل لزميل الى من حبب إلي هذه الشخصية العظيمة فلم يزل بي وبها حتى بلغ حد التفاني والانسجام التام معهـا ، فلما تم له ما أراد وقف متفرجا وقد تملكه السرور والحبور مما كان ، وقال قولته مشجعا حاثا على الاستزادة . ليس فى الامكان ابدع مما كان ألا وهو السيد ابراهـيم الواعظ باعث روح الادب فى الموصل الحدباء ومحيي رفات الادب فيها وهى رميم .

فلأرجع الآن الى رجوع المحاضر الى الله ، فانظر اليه فيما يقول : « واذا استطاع اولو النظر من الباحثين ان يروا يد الجماعة ومؤآزرتها فيما قدمته بل فى كل صنع وعمل من اعمال الناس ـ رافقه التوفيق ودر على صاحبه خيراً فانا معشر المسلمين بما آمنـا به من ان الله هو الخالق لكل شيء ،وهو المفيض لكل نعمة،وهو الميسر لكل صنع، لنرى يد الله وقوته ومعونته في الناس وما يصنعون ولنستطيع ان نضيف ما استدل به الباحثون ان العامل بالغة ما بلغت مواهبه لن يقدر بمحض كده على شيء يقدمه للناس صنعا فى الصناعة ، وما اعمال الناس إلا وسائل للانتفاع بما خلق الله من موارد وقوى

لا يتم من دونها لعامل عمل . نعم ان اتمام الصنع واحسانه يستوجبان منه حذقا وميزة غير ان ذلك ان هو إلا فيض من الله على من يشاء من عباده ».

لقد أنهى رسالته المنطقية بقوله (واذا استطاع اولو النظر) والتحق بالله مبتدئا من قوله (فانا معشر المسلمين) . وانى اقول واذا استطاع اولو النظر من الباحثين ان يروا رأوا اسرار الله العظيمة المتنوعة في محاضرنا فان الله عز شأنه كما وهبه عظمة روحية لا تحاط ،وهبه عزة عقلية وانه ممن اصطفاهم لنفسه ليكونوا ثقاة حافظين لذكره الحكيم مصداقا لقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . ومن عجيب ما يلاحظه الملاحظ ان للمحاضر ذوقا روحيا وحسا مرهفا بلغ من دقتها انها يدركان الحقائق التي تدق من ان تدرك بآلة الادراك وهو العقل فى حين ان الحس والذوق لم يكونا ولم يخلقا كأداتين للادراك بل انها ادوات مساعدة للعقل ثم يعود الى الله والمنطق معا بأمر من الله فيقول (بما قدمت ترون يد الله ويد الجماعة ومعونتها وبتسييرها فى كل عمل جلب على صاحبه خيرا كما توقنون بما في هذا المال من فضل يزيد على جهد العامل وبما في استئثاره من ظلم واعتداء) .

ان أدق عبارة روحية وجدتها فى محاضرته هي قوله (وكان من تلطفه بهم الى آخر ما يقول ...) كما سبق فالمحت عنها غير مرة ، وأدق عبارة منطقية وجدتها فيها هي قوله (وأراني قد أطلت القول في غير طائل وحاولت التدليل على واضح من الحق ظاهر فان الله الذي دعانا الى الاسلام لعبادته والذي استجبنا له وآمنا بدعوته هو الذي خلق الارض والسماوات وفطر النفوس والجماعات وهو الذي قدر لكل خلق نهجه وسننه وهو الذي قرر فى جلال وعظمة ان تلك السنة باقية على وجه الدهر لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا).
انى ممن يحسنون الظن باولي النظر من الباحثين المتعشقين للمعاني التي اختفت لدقتها

وراء الالفاظ فلا تسفر إلا للراسخين العارفين ولمقيدني ان الاستئثار ولو فى الروحيات غير مستحب فى شريعة الفضيلة لذلك وددت ان اضيف الى لذة الفهم لذة المشاركة وأخص بالذكر من اولئك الراسخين فى العلم المتذوقين أبا مصطفى السيد ابراهيم الواعـظ رئيس محكمة الاستئناف الذي أعانني فيما أنا بصدده من محاولة الاحاطة لبحر لا يحاط ، وأرى لزاما علي خدمة للحقيقة وتنويها بالفضل انني كنت اقرأ عليه ما كنت انتجه في يومي ذاك ، فكان يبدي لي من الملاحظات القيمة فاثبت وامحو وازيد وانقص حتى تم لي هذا ، واذا كان المحاضر الكريم يدعو المدينين وأنا منهم الى ايفاء ديونهم وان الايفـاء واجب محتم فليشر علي بطريقة أفي بها ديني لأخي ابراهيم ، فانني اعـترف بعجزي عن ذلك لأن الفضل عميم وقدرة الايفاء ضئيل كليل .

وسأسجل بعد هذا بعض مدركاتي مما يقول ، فقوله : (وأراني قـد أطلت القول فى غير طائل وحاولت التدليل على واضح من الحق ظاهر) .

اولا ـ ان هذا القول لباس كامل من التواضع لله وللجماعات ، فهو بالاضافـة الى الله والجماعات قوة ايجابية نفسية عليا ، واعتقد جزما ان شاطرني المحاضر الرأي او لم يشاطر انه عندما قال ذلك كان قوله تحقيقا للآية الكريمة « ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » اذ بمحاضرته القيمة هذه قدم للجماعة حقها عليه وأناف على الحق ، وما زاد عن الحق فهو صدقة ، فأراد ان يظهر كرما منه ان الحق والزيادة لا يعدان شيئا مذكورا فاستصغر ما قدمه من عظائم لعظمة في نفسه :

وتعظم فى عين الصغير صغارها　　　وتصغر فى عين العظيم العظائم

واستخلص الصدقة من المن والاذى فقال : (اطلت القول بغير طائل وحاولت التدليل على واضح من الحق ظاهر)

ثانيا ـ ان قوله هذا قوة سلبية ضد الغرور اذ ان من يأتي بهذه المحاضرة القيمة التي كادت ان تبلغ حد الاعجاز وكان بنفسية كنفسية محاضرنا فله ان يخشى على سمو نفسه من ان يستنزلها الغرور ، فاباده مستقصيا ، ابادة لا رجعة معه ولا حياة .

ثالثا ـ ان قوله هذا لفتة روحية عجيبة ولو استطاع مستطيع ان يجد من قابليته الروحية البلوغ الى حد يسمع معها منطق روحه في هذا القول لسمعها تقول : لو لم يعر عقول البشر من انحراف ونشوز عن طبيعة العقل التى أرادها الله ، ولو لم يعر القلوب من امراض فتاكة أبعدت البشر عن حقيقته ومسخته فاستحالت المعاني الصافية الرفيعة مرتقة منسقة ولم تزل هذه القلوب المريضة بها حتى تخلق من فضائلها المريضة بها حتى تخلق من فضائلها الكبرى رذائل كبرى . ولو لم يعر البشر ذلك الفساد وتلك الأوباء الوخيمة التى انقلب بها الزلال الى حنظل لما حاضرتكم بمحاضرتي هذه التى من اهم اغراضها اشعاركم باصلكم الذى نسيتموه حقيقة واسما لعلكم ترجعون . والحق لا يحتاج الى دليل ، والبديهيات مستغنية عن البراهين . وهنا وفى هذه الآونة تجسدت امامه ما آل اليه امر المسلمين عامة ، فهاله الامر فرجع الى حقيقته فاستنقذ الله من هول ما رأى فانقذه فقال : «فان الله الذي دعانا الاسلام لعبادته الى آخر ما قال ..»

ولرب قائل يقول : لم هاله حال المسلمين ذلك الهول ولم يحرك ساكنا فى غيره فجوابي على ذلك ان الذي يستعظم شدة المرض وحال النزاع الاخير هو الطبيب الصحيح لا المريض نفسه او مريض آخر مثله فانه بهذا ناظر بعقل لا يشوبه ما شاب عقولهم وشاعر بقلب بريء من المرض ومدرك بذوق تجرد عن الفساد اما غيره يرى ذلك امرا طبيعيا بالاضافة الى حاله ومرضه .

وقد انهى محاضرته بايجاز ما فصله فقال « سبيل استنقاذ النفوس من ضعفها هو ان

ترزق حصة وافرة من علم بالدين وبسنن الجماعة تهديها وترشدها الى ما فى نهوضها بما أوجب الدين عليها من خير ونعمة للجماعة وتذكرها دوما بان كل من استظل بظل الجماعة ان هو الا جزء منها يسعد بنعمائها ويشقى بفتنتها وبلائها ، وان يكون للعلم سبيل على النفوس الا ان تؤمن العقول بهديه وتوقن بصالح ارشاده ، والا ان يواتيه دافق فياض من مشاعر وميول يجعل للعلم سلطانا على الجوارح فيصرفها فيما يشاء) فانه بهذا يدعو الى:

١ـ ادراك حقيقة الدين وروح تشريعاته لكي تبقى الحقيقة الهابطة الينا حقيقة لا ممسوخة .

٢ـ يدعو الى نكران الذات في سبيل صالح الجماعات لأن الفرد زائل والأمم خالدة ونكران الذات في سبيل صالح الجماعات سر تقدم الامم ونهوضها وسيطرتها لانه به يتم العمل الاجتماعي التعاوني المثمر على أحسن وجوهه وأكملها ويبقى خالداً على كر الجديدين ومرور الملوين .

٣ـ ان تبلغ الثقافة فى رؤوسنا وصدورنا وجوارحنا الى حد ايمان العقول بها وهي الطريقة المثلى التي تبلغ بها درجة الاخلاص العلمي فنعمل بهديه وننتهي بنهيه ، وإلا يصبح العلم نوعا جديداً نضيفه الى انواع التجارات التى نعرفها ونصنعها واذا قامت الرغبة في نفوسنا بغية معرفة الفرق بين من يؤمن عقله بعلمه وبين من لا يؤمن فانظر الى طبيب بلغ من اخلاصه لعلمه انه يجرب على نفسه علاجا اكتشفه وهو غير مامون النتائج ليدرك مدى مفعوله فاما ان يموت به واما ان ينفع الناس ، وبين طبيب آخر جمع قواه الفكرية والنفسية كلها لتركع وتسجد لمعبوده الدرهم والدينار فلا يفهم شيئا غير هذا ولا يعير التفاتا لغير هذا ومايقال عن الطبيب يقال عن غيره ايضا من مهندس ومحام وحاكم ومدرس

٤ـ يدعو لان يكون للعلم أثر واضح فى السلوك الشخصي وهذا لن يكون إلا اذا

استقر العلم فى النفوس وتمكن منها فطبعها بطابعه ولونها بلونه .

وقد ذهب بدعوته هذه مذهباً حقاً لأننا اذا نظرنا الى تاريخ الثقافات نجد علماء التاريخ المتوغلين يصنفون الثقافات الى أصناف وأنواع يحددونها بصفات ويسمونها بعلامات ، ويوضحونها بقيود تتمايز عن غيرها ، فيقولون الثقافة الاغريقية وتمتاز بكذا وكذا وتختلف عن الثقافة اللاتينية بكذا وكذا ، والثقافة الاسلامية وهذه مميزاتها وتلك طوابعها ، فلو لم يكن للثقافة سلطان على الجوارح يظهر هذا السلطان في السلوك والاعمال والاتجاه لما أمكن للمؤرخين ان يصنفوا تصنيفهم هذا وتنويعهم ذاك ، وقد اختتم كلامه بقوله (ايها السادة هو سبيل العمل لما فيه مرضاة الله وجمع شتات المسلمين واستعادة ما كانوا عليه من مشاعر وايمان وما وهبهم ذلك من عز وسؤدد وسلطان وهو غرض جماعة احياء مجد الاسلام) .

كم كانت رغبتي ملحة لان اقول كلمة اختتامية تصور ولو جانباً من حقيقة هذا الرجل العظيم ولما لم أجد عندي ما يحقق رغبتي ، استعنت بالله فانطلق لساني بما ضاق به صدري (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا اولوا الألباب) .

« ايوب صبري الخياط »

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٨	سنوات فى	سنوات بل فى
٧	٧	فليؤدي	فليؤد
٨	١	ولا تمشي	ولا تمش
١٧	٧	منقطة	منقطعة
٢٦	١٨	واذا قلتهم	واذا قلتم